

المحاضرة 5 + 6 سيكولوجية التلميذ + علاقة الأستاذ بالتلميذ :

تمهيد

تُعدّ سيكولوجية التلميذ من أهم المرتكزات التي يقوم عليها الفعل التربوي المعاصر، إذ لا يمكن فهم العملية التعليمية بمعزل عن الخصائص النفسية والعقلية والانفعالية والاجتماعية للمتعلم. فالتلميذ ليس وعاءً فارغاً يُملأ بالمعارف، بل كيان نفسي متكامل، يتفاعل مع محيطه الأسري والمدرسي والاجتماعي، ويتأثر بعوامل داخلية وخارجية تنعكس مباشرة على سلوكه وتحصيله الدراسي.

وعليه، فإن فهم سيكولوجية التلميذ يُمكن المربي من اختيار الأساليب البيداغوجية المناسبة، وتفادي المشكلات السلوكية، وبناء علاقة تربوية قائمة على الفهم والتوجيه لا على القمع والتلقين.

أولاً: مفهوم سيكولوجية التلميذ

سيكولوجية التلميذ هي دراسة الخصائص النفسية والسلوكية والمعرفية والانفعالية للمتعلم داخل السياق المدرسي، بهدف فهم أنماط تفكيره، ودوافعه، وحاجاته، واستجاباته المختلفة للمواقف التعليمية.

وهي فرع من فروع علم النفس التربوي، الذي يهتم بدراسة التعلم والدافعية، والفروق الفردية، والنمو النفسي عبر المراحل العمرية.

ثانياً: مراحل النمو النفسي للتلميذ

1. مرحلة الطفولة المتوسطة (تقريباً 6-12 سنة)

- تفكير ملموس يعتمد على المحسوسات.
- حاجة كبيرة إلى التشجيع والمدح.
- تأثر قوي بالمعلم بوصفه نموذجاً.
- ميل إلى اللعب والتفاعل الجماعي.

في هذه المرحلة يجب اعتماد:

- الوسائل البصرية.
- الأنشطة التطبيقية.
- التعلم باللعب.

2. مرحلة المراهقة (12-18 سنة)

- نمو التفكير المجرد والنقدي.
- حساسية مفرطة تجاه النقد.
- بحث عن الهوية والاستقلال.
- تقلبات انفعالية واضحة.

وهنا ينبغي:

- احترام شخصية التلميذ.
- فتح باب الحوار.
- تجنب الإهانة أمام الزملاء.
- إشراكه في اتخاذ بعض القرارات الصفية.

ثالثاً: الدافعية وأثرها في التحصيل

الدافعية نوعان:

- دافعية داخلية: حب المعرفة، الفضول.
 - دافعية خارجية: المكافأة، الخوف من العقاب.
- وتؤكد أبحاث علم النفس أن الدافعية الداخلية أكثر استدامة وأثراً في التعلم العميق.

رابعاً- الفروق الفردية بين التلاميذ

لا يوجد فصل دراسي متجانس تماماً، فهناك فروق في:

- مستوى الذكاء.
- سرعة الفهم.
- الأسلوب المعرفي.
- الخلفية الاجتماعية.

ومن المهم اعتماد بيداغوجيا الفروق الفردية، عبر:

- تنويع الأنشطة.
- العمل في مجموعات.
- التقويم التكويني المستمر.

ثانيا - العلاقة بين الأستاذ والتلميذ :

ثانيا - العلاقة التربوية بين المعلم والتلميذ

أولاً: البعد النفسي للعلاقة التربوية

العلاقة التربوية ليست علاقة سلطوية محضة، بل هي علاقة إنسانية تربوية تقوم على التوازن بين:

- السلطة التوجيهية (لضبط النظام)
 - الدعم العاطفي (لتحقيق الأمان النفسي)
- يرى Carl Rogers أن التعلم الفعال لا يحدث إلا في مناخ تسوده ثلاثة عناصر أساسية:
- التقبل غير المشروط
 - التعاطف
 - الصدق أو الاتساق الداخلي للمعلم
- فعندما يشعر التلميذ بأنه مقبول كشخص، لا كرقم أو مستوى دراسي، فإنه يفتح على التعلم ويقبل دفاعه النفسي.

ثانياً: أثر العلاقة على الدافعية والتحصيل

الدراسات التربوية الحديثة تثبت أن:

- التلميذ الذي يحب معلمه يبذل جهداً أكبر.
- التلميذ الذي يخاف من معلمه قد ينجح مؤقتاً، لكنه يتعلم بدافع القلق لا الفهم.
- التلميذ الذي يُهان أمام زملائه يفقد دافعيته ويُطوّر مقاومة نفسية.

فالعلاقة الإيجابية تعزز:

- الثقة بالنفس
- الجرأة في طرح الأسئلة
- المشاركة الصفية
- الاستقلالية الفكرية

أما العلاقة القائمة على السخرية أو التهديد فتتميّ:

- الخوف
- الانطواء
- العدوانية
- الغش كآلية دفاعية

ثالثاً: أنماط المعلمين وأثرها النفسي

يمكن تصنيف أنماط العلاقة إلى ثلاثة نماذج رئيسية:

النمط	السلطوي	الصارم
يركّز على	الطاعة والانضباط	الميكانيكي.
نتيجته: تلاميذ خاضعون ظاهرياً، لكنهم يفتقدون المبادرة.		
النمط	المتساهل	المفرط
يُضعف الحدود	ويُربك	التلميذ.
نتيجته: فوضى وانخفاض التحصيل.		
النمط	الديمقراطي	المتوازن
يجمع بين	الحزم	والاحترام.
نتيجته: انضباط نابع من القناعة، لا من الخوف.		
والنمط الأخير هو الأقرب إلى التصور التربوي الحديث.		

رابعاً: أثر المعلم كنموذج قدوة

التلميذ، خاصة في الطفولة والمراهقة، يتعلّم بالملاحظة والتقليد. وقد بيّن Albert Bandura في نظريته حول التعلم الاجتماعي أن السلوك يُكتسب عبر النمذجة.

فالمعلم الذي:

- يحترم الوقت
- يتحكم في انفعالاته
- يعترف بخطئه
- يتحاور بأدب

يُنتج تلاميذ يميلون إلى تبني هذه السلوكيات.
بينما المعلم الغاضب دائماً يُنتج بيئة توتر مستمر.

خامساً: العلاقة في مرحلة المراهقة

في المراهقة، العلاقة تصبح أكثر حساسية بسبب:

- بحث التلميذ عن هويته.
- رغبته في الاستقلال.
- رفضه للسلطة القهرية.

هنا ينبغي للمعلم:

- أن يتحول من أمرٍ إلى موجه.
- أن يُحاور بدل أن يفرض.
- أن يمنح مساحة للتعبير.

فالمراهق لا يرفض النظام، بل يرفض الإهانة.

سادساً: أخطاء شائعة في العلاقة التربوية

- التمييز بين التلاميذ.
 - إطلاق ألقاب سلبية.
 - استخدام العقاب أمام الجميع.
 - تحويل القسم إلى ساحة صراع.
- هذه السلوكيات تترك آثاراً نفسية قد تستمر لسنوات.

سابعاً: مبادئ عملية لبناء علاقة ناجحة

يمكن تلخيصها في:

- العدل في المعاملة.
- الثبات الانفعالي.
- التعزيز الإيجابي بدل العقاب المفرط.

- معرفة الظروف الاجتماعية للتلميذ.
- الفصل بين السلوك والشخص (ترفض الخطأ لا الشخص).